**المحاضرة السادسة : نظرية مالتوس**

**الأهداف :**

**ــ التعرف على الظروف السوسيواقتصادية التي نشأ فيها صاحب النظرية .**

**ــ تحليل و مناقشة محتوى النظرية .**

**أولا: نبذة عن حياة مالتوس**

ولد توماس روبير مالتوس في انجلترا سنة 1766 م، وهو أحد القساوسة الانجليز، لقد تلقى تعليما خاصا إلى أن التحق بجامعة كامبردج في الثامنة عشر من عمره، ثم تخرج عام 1787 م والتحق كاهنا بالكنيسة عام 1797 وتوفي سنة 1834 م.

**ثانيا: ظروف تبلور الفكر المالتوسي**

تظافرت مجموعة مختلفة من العوامل في بلورة الفكر المالتوسي واسهامه في الفكر السكاني من خلال الأفكار التي طرحها، والتي مثلت تحولا بارزا في ميدان الدراسات السكانية، ويمكن حصر هذه العوامل فيما يلي: (إسماعيل، مساعدة ، 2011)

* التزايد السكاني في بقاع العالم إبان القرن التاسع عشر، وما ترتب عنه من أزمات خطيرة مثل: البطالة، الازدحام، الفقر، الآفات الاجتماعية ... الخ
* الأزمة السياسية والسوسيو اقتصادية التي خلفتها الثورة الفرنسية والتي كان مالتوس من أشد معارضيها.
* تقدم البحث في ميدان الإحصاء واكتشاف مناهج جديدة في تحليل اتجاهات الخصوبة، وتزايد استخدام المسوح الميدانية .
* التقدم المسجل في العلوم البيولوجية، وهو ماوفر صفات السكان وخصائص السلالات البشرية.

**ثالثا: مضمون النظرية**

يعتبر المختصون في علم السكان أن روبرت مالتوس هو أول من أثار مشكلة العلاقة بين الموارد الغذائية و التزايد السكاني و كان ذلك في مقاله "بحث في أصول مشكلة السكان"، الذي صدر سنة 1798 في طبعة أولى لم تحمل اسمه، ثم في سنة 1803 في طبعة ثانية منقحة و موثقة تحمل اسمه وقد جاء هذا المقال في معظمه ردا على آراء غودوين وكوندورسي التي اتسمت بالمبالغة في التفاؤل حول قدرة العقل البشري على رفع التحديات في مواجهة الصعوبات وإبداع الحلول لمختلف الأزمات حيث يرى مالتوس أن الطبيعة البشرية هي المصدر الأساسي للمشاكل، على عكس كوندورسي الذي يرجعها إلى مساوئ الأنظمة السائدة، كما يرى أيضا أن سبب الفقر هو النمو المتزايد للسكان، عكس غودوين الذي يرى أن سبب هذا الفقر هو سوء المؤسسات الاجتماعية و الاقتصادية القائمة .

يقول مالتوس في مقاله السابق الذكر: "أن الإنسان ـ وليست المؤسسات والنظم التي تسود المجتمع ـ هو مصدر الشرور والمشكلات، ويجب أن يبدأ الأفراد بإصلاح عيوبهم المتمثلة في التوالد السريع الذي لا يتناسب مع ما يمكن الحصول عليه من موارد العيش والغذاء ".

لقد أسس مالتوس لنظريته انطلاقا من حقيقتين طبيعيتين، اعتبرهما كقانونين همين غير قابلين للتغيير يحكمان طبيعة البشر وهما:

* ميل السكان إلى التناسل الناجم عن الحاجة البيولوجية للعلاقة بين الجنسين.
* ضرورة الغذاء لاستمرار الانسان، وبالتالي بقاء النسل البشري.

ولإيضاح رأيه أكثر يؤكد مالتوس أن تزايد السكان يتحدد وفق متتالية هندسية، بينما تزايد الموارد الغذائية تحدده متتالية حسابية، وفق قانون الغلة المتناقصة، وهذا يعني أنه بعد فترة معينة سيجد المجتمع نفسه عاجزا عن تحقيق كفايته من الغذاء.

ويرى مالتوس أنه أمام هذا الوضع، يتحتم على المجتمع أن يتدارك نفسه بوضع قيود أخلاقية للتحكم في وتيرة التزايد السكاني بما يتوافق مع القدرة على إنتاج الغذاء، وتتمثل هذه القيود في تأخير سن الزواج و التعفف أثناء الزواج. وإذا تأخر هذا الإجراء فإن ستتولى بدورها إعادة التوازن و إرجاع الأمور إلى نصابها عبر تفشي الأمراض والأوبئة والمجاعات والحروب اقتتالا على الموارد المتاحة تحت سطوة غريزة البقاء عند الإنسان.

**رابعا: الانتقادات الموجهة لمالتوس**

لقد اعترض الكثير من المفكرين المعاصرين لمالتوس على آرائه وأفكاره، وأبرزهم غودوين كوندورسي، دافيد ريكاردو، جون باتست، حيث كان مالتوس يمثل نظرة معارضة تماما لأفكار هؤلاء .

ومن أهم المآخذ التي تم تسجيلها على أفكار مالتوس اعتباره أن انتاج الغذاء لا يمكنه مواكبة النمو السكاني، و جزمه بأن الفقرهو النتيجة الحتمية لهذا النمو.

وقد تمثلت الانتقادات الموجهة لمالتوس اقتصار البيانات المحدودة التي استعملها على عدد قليل من البلدان الأوروبية، وإهماله لعدة عوامل تؤثر في السكان وأبرزها عامل الهجرة و كذلك التقدم العلمي و التكنولوجي، حيث أن الثورة الصناعية قد أحدثت واقعا جديدا لم يتوقعه مالتوس، كما أن الصيغة الهندسية ليست هي الصيغة الوحيدة للزيادة السكانية، وهذا ما أثبتته مختلف الإحصائيات السكانية في العالم، بالإضافة إلى العوامل الاجتماعية التي تتحكم في الإنجاب.

**خامسا: المالتوسية الجديدة**

تشير المالتوسية الجديدة للأشخاص الذين لديهم نفس اهتمامات وقناعات مالتوس وأفكاره حول طريقة التخلص من النمو المتزايد لعدد السكان في العالم ، حيث يطالبون بالتحكم في زيادة عدد السكان بما يتناسب ونمو الموارد الطبيعية .

مما لا شك فيه انه كان لأفكار مالتوس حول المسألة السكانية تأثيرا واضحا و عميقا حتى الوقت الحالي ، لذلك يطلق على الباحثين المعاصرين المؤيدين لأفكاره اسم "المالتوسيون الجدد".

لقد رصد أصحاب هذا التيار منذ منتصف القرن العشرين في بلدان و مجتمعات عديدة عبر العالم و ذهبوا إلى أن هذا النمو كان سببا في كثير من المشكلات الاجتماعية والشقاء الإنساني، لذلك فقد دعوا بشكل أساسي إلى خفض معدلات الانجاب في العالم وبالأخص في العالم الثالث فبينما نجد أن مالتوس كان يعارض بشدة ضبط معدلات الانجاب عن طريق استعمال وسائل منع الحمل، نلاحظ أن هؤلاء( المالتوسيون الجدد) قد ذهبوا أبعد من ذلك بكثير، حيث طالبوا و ما زالوا يطالبون باتخاذ مجموعة من الإجراءات أهمها : ( فتحي أبو عيانة، 2000 : 19 ــ 20 )

* تعقيم الرجال و النساء بشكل إجباري .
* سن قوانين تبيح الإجهاض العمدي .
* إلغاء قوانين مساعدة الفقراء للحد من تكاثرهم .
* سن قوانين تعقد عملية الزواج .
* وضع ضرائب على الأطفال .

لم يكتف المالتوسيون الجدد بالقول أن الحد من النمو السكاني سيقضي على المشاكل الاجتماعية بل تجاوزوا ذلك إلى الادعاء بأن هذا الإجراء سوف يحقق التطور الاقتصادي ويساهم في تحسين مستوى المعيشة. ( سيد عبد العاطي السيد، 1999 : 118 ـ 119 )